الإنسان والكون في شعر عمر بهاء الدين الأميري

Man and the universe in the poetry of Omar Baha Al-Din Al-Amiri

د. عبد الله لاطرش[1]

د. فاطنة يحياوي[2]

تاريخ الارسال:23-04-2020 تاريخ القبول:07-06-2020

ملخص:

شعر الأميري شلاّل دفّاق، ومحيط مترامي الشّطآن، يتقاطر عاطفة وشهْدا من صدق الكلمة وعمْق المعنى وقوّة الفكرة والرّسالة، لقد اهتم في دواوينه المتعدّدة بمواضيع شتّى؛ الصغيرة والكبيرة، العامة والخاصة، الدّينية والاجتماعية والسياسية والتحرُّرية، العربية والعالمية، الطفولة، الأسرة، الحياة الفلسفة، الرّوح، عالم الغيْب والشهادة...الخ

ولكن وهو يعنى بكلّ هذا التنوُّع، تبرز قضيتان هامتان، سيطرتا على توجّهه الشعري وميله الموْضوعي، إنّهما: الإنسان والكون؛ حيث أنّه لكثرة حديثه ونظمه عن الإنسان، لقّب بشاعر الإنسانية المؤمنة وأصبح معروفا به لقبا وتشريفا، كما ربطه بموضوع الكوْن وما يحصل بينهما في منطق التفاعل الحضاري، الذي هو سلوك بشري راق يبني الأمم ويحدث النهضة المنشودة.

كلمات مفتاحيّة: الأميري، الإنسانية، الكون، الشعر، الحضاري .

[1] المركز الجامعي علي كافي تندوف، aboubelsam13@gmail.com (المؤلف المرسل)

[2] المركز الجامعي علي كافي تندوف، yafyaf72@yafoo.fr

Abstract:

The poetry of the Emiri, a waterfall of Defaq, and the ocean of sprawling beaches, dripping with emotion and witness to the sincerity of the word, the depth of meaning and the power of idea and mission, he has cared in his various collections on various topics: small and large, public and private, religious, social, political and liberation, Arab and global, childhood, family, life, philosophy Spirit, the unseen realm of martyrdom, etc.

But he is concerned with all this diversity. Two important issues emerge that control his poetic approach and his objective inclination:

Man and the universe, whereas, due to the abundance of his discourse and his discourse on man, he was called the poet of the believer humanity and he became known for his title and honor, as he linked him to the subject of the universe and what is happening between them in the logic of civilized interaction, which is a sublime human behavior that builds nations and brings about the desired renaissance.

Keywords: Emiri, Humanity, Universe, Poetry, Civilization

1.المقدّمة:

لا يختلف اثنان على أنّ الحالة الشعرية تحمل رسالة - بأيّ حال من الأحوال- وتسعى للتأثير في المتلقي من خلال محاولة تحريك مشاعره وعواطفه اتجاه هذه المسألة أو تلك، انطلاقا ممّا يؤمن به الشّاعر ويسعى لخدمته وتحقيق غاياته.

وشاعرنا الكبير، عمر بهاء الدّين الأميري من القلائل الذين حملوا همّ الإنسان والإنسانية وعلاقتها بمحيطها العام؛ كالعلاقات العامّة (الأسرة والمجتمع والأمة إلى البشريّة قاطبة)، أو العلاقة بين الإنسان وخالقه، أو العلاقة بين الإنسان والكوْن من حوله وما يترتب عن ذلك من آثار حسّاسة تفرز: التأمل والتعمير والتنمية والانسجام مع نواميس الكون ومخرجاتها الحضارية.

حين نقرأ ديوان: (أب) أو (أم) أو(ألوان طيف) أو(رياحين الجنة) أو(نجاوى محمدية) أو (مع الله).. وغيرها، ونقرأ: (الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية) و(في الفقه الحضاري)، و(الإسلام وحضارة المستقبل). وغيرها من ابداعاته ندرك ذلك الاهتمام العميق للشاعر بحيويّة الإنسان وفاعليته في إدراك مسؤوليته اتجاه نفسه ثم الآخر وفلسفة الكون وكيفية تسخيره لصالح الاسان وكيف تكون العلاقة بينهما؟

إشكالية البحث: كيف ينظر الأميري للإنسان والإنسانية؟ وكيف تناولها في شعره؟، وكيف تصوِّر الكون من حوله؟ وماهي فلسفته في ذلك؟

2 ـ من هو الشاعر؟

عمر بهاء الدين الأميري شاعر سوري من مدينة حلب، ذو اتّجاه إسلامي يميل إلى الطريقة الصوفية، شعره يمتاز بالطبيعة العاطفية والحسّ الوجداني المرْهِف وتناول في شعره العديد من المواضيع منها مواضيع سياسية وعاطفية ودينية، عمل سفيراً لفترة من الزمن بباكستان ثم بالمملكة العربية السعودية.

هو أمير شعراء حلب، وشاعر الإسلام الحنون، وشاعر الإنسانية المؤمنة صاحب فكر وإبداع وتفوُّق، يعدّ عمر بهاء الدين الأميري رائداً من روَّاد الواقعية الإسلامية، بل إني لأعدُّه عميد الشعر الإسلامي دون منازع.[1] (عمر العيسو، 2019)

شارك في الدفاع عن "القدس" مع جيش الإنقاذ خلال حرب فلسطين عام 1379هـ- 1948م

- أسهم في تأسيس حركة "سورية الحرّة"، وكان رئيس الجانب السياسي فيها عام 1384هـ- 1953م، اهتم بقضايا الثقافة والسياسة والجهاد في أوطان

العروبة والإسلام، واشترك في العديد من مؤتمراتها ومواسِمها، واتصل بكبار علمائها ورجالاتها ومؤسّساتها.

- دعي إلى المغرب عام 1386هـ أستاذاً لكرسي الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسينيّة بالرباط - الدراسات العليا للدبلوم، والدكتوراه بجامعة القرويين في المغرب- ، واستمر خمسة عشر عاماً، كما درّس الحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس.

- دُعِي أستاذاً ومحاضراً في جامعات: الرياض، والإمام محمد بن سعود، والملك فيصل، والملك عبد العزيز في السعودية، وجامعات: الأزهر، والجزائر، والكويت وصنعاء، وقطر، والجامعة الأردنية في عمّان، وجامعة الإمارات العربية في العين وعدد من الجامعات الإسلامية في باكستان، وتركيا، وإندونيسيا.

شاعر منذ بواكير عمره، طُبع له عشرون من آثاره في الشعر والفكر وتُرجمت بعض قصائده إلى لغات بلاد إسلامية وأجنبية، ولديه عدد كبير من الدواوين والبحوث والمذكرات المخطوطة.[2] (نور سورية، د.ت)

1 ـ من دواوينه الشعرية:

- مع الله
- ألوان طيف
- أب - أمى
- من وحى فلسطين — أشواق وإشراق
- ملحمة النصر - حجارة من سجيل
- قلب ورب

-رياحين الجنة

- الزحف المقدس
- نجاوى محمدية - أذان الفجر.

2ـومن كتبه المطبوعة:

- الإسلام في المعترك الحضاري.
- المجتمع الإسلامي والتيارات المعاصرة.
- في رحاب القرآن (الحلقة الأولى: في غار حراء).
- في رحاب القرآن (الحلقة الثانية: عروبة وإسلام).
- في رحاب القرآن (الحلقة الثالثة: وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري).

3- ومن كتبه التي جمعت بين التاريخ والفكر والشعر:

- صفحات ونفحات.
- لقاءان في طنجة.[3](جابر قميحة، 2005)

3ـالإنسان في شعره:

يزخر شّعر الأميري بفكرة الإنسانيّة حتىّ لكأنهّا المهيمنة على فكره وثقافته وعمله وسلوكه، "فقد كان الشّاعر حريصا على إنسانيّة أطروحاته متّصلة بالإيمان، في مؤلّفاته الفكريّة، ولقاءاته الإعلاميّة بأنواعها، بل وفي شعره، في غالب اتجّاهاته الموضوعيّة، ولاسيّما ما يختصّ بموضوع الإنسان مباشرة"[4] (خالد بن سعود الحلبي، 2006).

فقد كان - رحمه الله - يعتزّ بأقرب لقب إلى قلبه ونفسه (شاعر الإنسانيّة المؤمنة) كما كان يحبّ أن يعرّف به ويقدّم في المجالس والمؤتمرات والندوات التي تنظّم هنا وهناك.

إنّ الإنسانيّة قيمة عليا، سامية لا تعرف وطنا ولا جنسا ولا حيّزا جغرافيا، بل هي تعبير عن كلّ العالم الإنساني بقيمه وخصائصه " فهي قوّة روحيّة عظمى تخاطب عقل الإنسان وضميره وجوهره وتحاول إبعاده قدر المستطاع عن تلك الماديّة الضّاغطة التّي ما تزال ممسكة بعنقه ومضيّقة عليه الأنفاس ومانعة إيّاه من تنشّق عبير تلك الرّوحانيّة السّامية التي هي طريقه الأوحد للخلاص من ذلك السّأم والقلق اللّذين يلفّان إنسان العصر، وينغّصان عليه أمتع اللّحظات"[5]. (مفيد محمد قميحة ، 1981).

لا تضادّ بين هذا المفهوم الواسع للإنسانيّة وبين الإسلام شريعة اهتمّت بالإنسان أين ما كان وكيفما كان، بهدف تحريره من عبادة العباد والأشياء إلى عبادة ربّ العباد وخالق الأشياء، يقول الأميري:

من لإنسانيّة منهوكة ... قد غذاها الغرب سمّا حنظلا
يتلظّى الحرّ من لأوائها ... ويعيش العبد فيها ثملا
آلة أو حيوانا خانعا ... تائه الذّات شقيّا غافلا
هل لها من منجد ينقذها ... يركب الصّعب غيورا باسلا
هل لها إلاّ فتى الإسلام من ... خير عبء في البرايا حملا [6]

(الأميري، 1984)

إنّ اهتمام الأميري بالإنسان وتخليده في شعره، لم يكن وليد صدفة أو خيال عابر، وإنّما:" يعلّل الشّاعر لوجود هذه المشاعر الإنسانيّة في نفسه بأنهّا الهموم الكبيرة الّتي حملها في شبابه، همّ أسرته ثم همّ وطنه ثم همّ أمّته، ثمّ الإنسانية الّذي تولّد نتيجة لاتّساع دائرة هذه الهموم، فنقلته من المستوى الأدنى الّذي يجعل

الإنسان يعيش لذاته ولشهواته، إلى المستوى الأسمى الّذي يميّز الإنسان"[7]. (خالد بن سعود الحليبي، 2006)

يقول في هذا المعنى شعرا:

ملكا كنتُ عندما كنتٌ طفلاً ثمّ أوشكت أشبه الحيوانا.
غير أنّ الهموم حفّت بذاتي منذ شبابي تصوغني إنسانا [8]

(الأميري ،1989)

فهو مهموم بواقع هذا الإنسان متألمّ لآلامه، سعيد لأفراحه، وأتراحه، يقول:

شعري، و وحي شجونه دائي، ونشر جواه طبّي
كم ذا جنى حلو المنى للمدنفين بعطف ندب
ولكم حنا، وكأنّه قد صيغ من أنفاس صبّ
يسعى الورى وجراحهم فمداده من ذوب حبّ [9]

(الأميري، 1985)

نعم؛ إنّ اعتناء الأميري بالإنسان ليس صدفة عابرة وإنّما يعتبره من معاني الذّوق الجمالي السّامي وأمانة لها قيمتها ومكانتها في الوجود، يقول:

أنا ومضٌ، كنهي طليق ولكن قدري أن أعيش غير طليق
كدتُ أخبو لولا هموم البرايا في جناني نوري وتذكي بريقي [10]

(الأميري، 1988)

فمن معاني شعره الإنساني، نذكر:

1.3العدل والمساواة:

وهما قيمتان ساميتان، من قيم المجتمعات المتحضّرة والمتطوّرة الّتي تغلّب الخير والحقّ والصّلاح على الشّر والظّلم والفساد، يقول:

ضجّ صبر الزّمان من سطوة الغر ب، ضجيجا ومال نحو النّفود
لم يعد منطق الحياة ليرضى بامتيازات سيّد و مسود
في حدود الاقساط والحقّ، يحيا النّ اس طرًّا من قائد ومقود
فخذوا العدل ديدنا ومنارا فهو للحكم مصدر التّوطيد [11]

(الأميري، 1968)

ويقول في موضع آخر، حيث يلبسهما صفة السلام:

وأقسم باللّه في لمحة إذا ما ملكنا لها مآلها
سنرقى السّنام نشيع السلام وننفي عن الأرض أوحالها
إذا صدق العزم دالت لنا الـ عوالم فاللّه أوحى لها [12]

(الأميري، 1985)

2.3 الأنا الإنسانيّة:

حيث يتحدّث عن الإنسان أينما كان ووجد موظّفا لفظة " أنا" لأنّه يبدأ من ذاته منطلقاً إلى الفضاء البشري الفسيح، الممتد، يقول:

أنا.. أقول أنا.. ماذا أكون أنا؟ قطيرة طوّقتها غمرة النّبج.
قطيرة أنا، لكنيّ الخصم إذا درجت فيما يريد اللّه من درج [13]

(الأميري، 1990)

هذه "الأنا" ليست سلبية أو نرجسيّة قاتلة إنّما هي في جوهرها عند الأميري حبّ وإحسان:

فجوهر الإنسان.

الحبّ و الإحسان.

معدنه من نور.

أبقى من الدّهور[14]. (الأميري، 1973)

في كتابه البديع "الإسلام في المعترك الحضاري" يقرّر الأميري القاعدة الذّهبية الّتي تؤكّد بأنّ (الإسلام والإنسان) عنوان واحد فلذلك كان للإنسانيّة رمزا ناميّا لدستور حياتها السّوية، لأنّ القرآن الكريم: " قدّم الإسلام، كدين عام للبشريّة كافّة، فهو دين الله، وهدى الإنسانيّة، وشريعة الأنبياء والمرسلين...وكان في علم الله وحكمه أنّ الإنسانيّة قد بلغت من تجاربها الموزّعة في أمكنة الأرض وأزمنتها، مبلغها من طاقة الرّشد المختزن. التّي تهب الإنسانيّة سعادتها وجدارتها، فقضت رحمته سبحانه أن يرسل فيها رسولا عالميّا، يكون خاتم رسله ليجاهد بتأييد الله وتوجيهه، في جميع طاقات الرّشد، وهكذا أصبحت كلمة الإسلام منذ محمّد رسالة جامعة مانعة، وأخذ الإسلام الجديد علميّة خاصّة، وعالميّة ممتدّة"[15].(الأميري، 1968)

ثمّ يواصل فكرته العميقة بهذا المعنى، إلى أن يقول: " في بديهيات البحث الحضاري تنهض أمام المتأمّل أسس أركان أمّهات ثلاثة:

- الوجود، وهو المساحة الحضارية.

- الإنسان: وهو الفعّالية الحضارية.
- العمران: وهو الهيكل الحضاري.

وإنّ فطرة العقل تحكم بأنّ مركز الثّقل بين هذه الثّلاثة هو الإنسان، يسخّر له الوجود والعمران، ولا يسّخر هو لهما، وإنمّا ينطلق فيها ليمارس ذاته الإنسانيّة فيما يحقّق خيره ويؤدّي رسالته."[16] (الأميري، 1968)

"الأنا" المرتبطة بالإنسانيّة، "أنا" فاعلة، متضامنة، محبّة للخير، خادمة للغير عاطفة على الآخر لا لأمر إلاّ لأنّه إنسان بكرامته، بعقله، بروحه وأشواقه ونورد هاهنا قصّة كلّها دروس وعبر يقصّها شاعرنا لتؤكد عمق هذه القيمة العظمى "الإنسانيّة" في كيانه وروحه، فيقول:

"كنت في طريقي إلى الجزائر، أعزّي بإمامها المجاهد الشّيخ البشير الإبراهيمي- رحمه الله- وتوقفت ليلة في "جنيف" بضيافة شركة الطّيران.

وفي نادٍ...كنت أجلس وحيداً، أتأمّل النّاس؛ جاءت إحدى المضيفات تجلس بجواري، وسألتني:

أتشرب هنا عصير البرتقال؟!

قلت: نعم .

قالت: وهل يمنعك الطّبيب من شرب الكحول؟!

قلت: طبيب الكون الأعظم، الله، قد حرّمها، وأنا مسلم مطيع.

قالت: فقدّم لي كأساً من الخمر .

قلت: معاذ اللّه، كيف أقدّم الأذى للنّاس، وقد صنت عنه نفسي؟!

قالت : وماذا يهمّك من أمري؟!!

قلت : نحن من أسرة واحدة .

عجبت، وسألت : كيف؟!

قلت : أسرة الإنسانيّة، إنهّا كلّها أسرة المسلم .

قالت : ومن أنبأك أنّي إنسانة؟! لقد أُنسيت ذلك من زمن طويل !

قلت : بل إنسانة ! والمسلم لا ينسى الحق.."[17](الأميري، 1968)، إلى آخر القصّة وهي مثبّتة في الكتاب، و ما يهمّنا هو هذا البعد القيمي والحضاري الذي يبني عليه نقاشاته وحواراته وعلاقاته بعاطفة صادقة وحبّ واثق حتىّ أنّه يؤكّد ذلك في شعره قائلا:

يا نجدة الإنسان...

بالقرآن، بالخير النّفوح

إنّي لأخشى قبل منبلج

السّنا طوفان نوح. [18] (الأميري، 1968)

3.3 الإنسان وحضارة المادّة:

لأنّ هذه الحضارة الّتي عمّت وانتشرت وكانت المادّة أساسها وروحها زعزعت الإنسان وهزّت كيانه، بل وقتلت إنسانيته حتىّ وإن بدا أنّه يعيش رفاهيّة وغنى فـ " ضياع الإنسان (المعاصر) وقتل إنسانيّته مصدره الغرب المادّي الذي خلّف وراءه القيم الإنسانية" [19](محمد عادل الهاشمي، 1987) فدخل في نفق النّيه والشّقاء، فتعب وأصابه الوهن.

وللعقّاد كلام بليغ وعميق، إذ يقول: "وقد استمع النّاس إلى الماديّة التّاريخية فقالت لهم إنّ الإنسان (عمْلة اقتصادية) في سوق الصّناعة والتّجارة تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطّلب، وصفقات الرّواج والكساد... واستمع النّاس إلى الفاشيّة فقال لهم: إنّ الإنسان واحد من عنصر سيّد، وعنصر مسود، وإنّ أبناء الإنسانيّة جميعا عبيد للعنصر السّيد. واستمع النّاس إلى (العقليّة) فقال لهم قائل منها: إنّ (إنسانيتهم) كذلك شيء لا وجود له، ووهم من أوهام الأذهان، وإنّ الشّيء الموجود حقًّا هو الفرد الواحد!... وبرهان وجوده حقًّا أن يفعل ما استطاع من نفع أو أذى، كلّما أمن المغبّة من سائر الأفراد والأحداث... وسمعوا من القرآن غير ذلك...الإنسان في عقيدة القرآن هو الخليفة المسؤول بين جميع ما خلق الله. يدين بعقله فيما رأى وسمع، ويدين بوجدانه فيما طواه الغيب، فلا تدركه الأبصار والأسماع، و(الإنسانيّة) من أسلافها إلى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد أفضلها من عمل حسنا واتّقى سيّئا، وصدق النيّة فيما أحسنه واتّقاه"[20] (عباس محمود العقاد، 1973)

ويعالج شاعرنا هذه الفكرة شعرا، فيقول:

أيّها الصّحب إنّها دورة الدّه ر كفانا في تيهنا دورانا
نخر (الهيروين) إنسان (غرب العصر) نخراً، فلم يعد إنسانا
هو طوراً (تقنية) تنطح النّج م، وطوراً يقارب الحيوانا
والدّنى اليّوم في رحىً من شقاء ضلّ إنسانها، وشذّ وهانا[21]

(الأميري، 1975)

بصراحة، لا تقبل التّأويل أو التستر، يصف فراغ هذه الحضارة التّي وصل بعض أبنائها الفضاء، ولكن سوادها الأعظم غارق في أوحال المادّيات والممنوعات القاتلة، يقول:

قادهم علمهم الظّا هر للجهل الدّفين
فهم يحيون لكنّ في شقاء سادرين
ما الّذي ينفعهم غزو فضاء بسفين
وهم في أرضهم صرعى بغزو "الهيرويين"
وبهتك الخمر وال عهر وفتك المجرمين[22]

(الأميري، 1990)

إنّ الأميري يلتقي مع أخيه الشّيخ الإبراهيمي في عالميّة الإسلام وإنسانيّته، وإنّ المسلم محبّ حريص على أخيه الإنسان من حيث هو(إنسان)، فيقول الإبراهيمي إذ يتحدّث في خواطره عن الشّباب: « أتمثّله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كلّ عربيّ أخا له أخوّة الدّم، وكلّ مسلم أخا له أخوّة الدّين وكلّ بشر أخا له أخوّة الإنسانيّة، ثمّ يعطي لكلّ أخوّة حقّها فضلا وعدلا.."[23].(البشير الابراهيمي، 1997)

الأخوّة الإنسانيّة، التّي عناها الإبراهيمي هنا هي من أبرز ضحايا المادّية المعاصرة، وشاعرنا يعتبرها من أهمّ رسالته الشعرية الإنسانية وهو لا يراها تتأسّس وتتحقّق إلاّ إذا كانت بالله، وفي الله الواحد. يقول:

ما حضاراتكم، وإن هي مدّت من ثراها إلى النّجوم جسورا
بالّتي تسعد الأنام وئاما وسلاما...وصحّة...وحبورا

نعمـــة الأمـــن والسّـــكنية في الأع مـــاق والحـــبّ سلســـبيلا نمـــير
وتـــآخي الإنســـان- في الله- بـــالإن ســـان يســـدي لـــه ودودا نصـــيرا
هـــي فحـــوى الحضـــارة الحـــقّ، بـــالإح ســـان يحيـــا الإنســـان فيهـــا قريـــرا[24]

(الأميري ، 1953)

ويوظّف الأميري أسلوب" الإشفاق والحنيّة" في دعوة الإنسان ألاّ يغفل وألّا يسقط ضحيّة لشهواته أو يصير عبدا لنفسه أو غيره، فيقول:

أيّهـــا الإنســـان مـــاذا صـــنعت شـــهوات الجســـم بـــالرّوح الـــثّمين
كـــرّم الله بـــني آدم مـــذ بـــرأ الخلـــق، وصـــاغ العـــالمين
عبـــثُ الإنســـان بالإنســـان مـــا كـــان فنّـــا في حجـــا الحـــقّ المـــبين
إنّـــه(الرّق) الـــذي ينكـــره كـــلّ إنســـان ووجـــدان وديـــن[25]

(الأميري، 1973)

نخلص فيما مرّ معنا أنّ رسالة الأميري الشّعرية في التغنيّ بالإنسان وله إنّما جوهرها وأساسها هو طرد الشّقاء والبأساء عنه ودعوته لمنابع الصّفاء والطّمأنينة كي يعمّر العمارة الحقيقيّة ويبني البناء الصّحيح المؤسّس للحضارة الصّادقة لا الكاذبة.

4-الكون في شعره:

الكوْن في فكر الأميري مرتبط بربّ الكون، فكما مرّ معنا في قضيّة الإنسان، ورأينا كيف أنّ هذه الإنسانيّة يصير لها معنى سامٍ وراقٍ إذا ارتبطت ببارئها وخالقها، ليتقرّر الأمر نفسه مع الكون ومكوّناته الدّالة على

خالقه ومصوّره ، فهو حينما يشدو باللّه خالق الكون والأكوان، إنّما يعلن أنّ شعره ها هنا حامل رسالة وفكرة، يقرّرها في ديوانه الفيّاض " مع اللّه"، فيقول:

مع اللّه في نفحات الشّذا مع اللّه ملء ثغور الزّهر
مع اللّه في الحقل حلو الجنى مع اللّه في الرّوض داني التّمر
مع اللّه سامع صوت الدّبيب من النّمل أنّى وأيّان مرّ
مع اللّه والنّحل يحسو الرّحيق ويحمي جناه بوخز الإبَر

إلى أن، يقول:

مع اللّه ما افترقت في الورى لغاتهم والوانهم والصور[26]

(الأميري، 1971)

هنا التّأمل، وهنا العقيدة، وهنا التّقديس، وهنا الخيال السّابح في آفاق الكون الواسع الفسيح، والإنسان والحياة بما فيها، والشّاعر إذ يهتم بقضيّة الكون في صورته العامّة، فإنّه يعطي لبعض أجزائه الخاصّة عناية واهتماما فيها القناعة والمبدأ كما هو الشّأن لفلسطين مثلا، فقدسيّتها وحرمتها عند المسلمين والمسيحيّين معاً، ولأنّها علامة وصل بين الأرض والسماء، يقول في قصيدة رائعة:

يا فلسطينُ يا تراثَ النبوةْ
يا لسان المجد الأثيلِ المفوَّهْ
لا يُضرُّك العدوان مهما تمادى
إن هذا العدوان مبْعث قوة
أمة العُرْب فى ركابك هبتْ
تلقم العاتي الزنيم عتوَّهْ

والأباةُ الكماةُ تهتز ثأرًا
كلما معراجُ الرسولِ تأوّه.[27] (جابر قميحة، 2001)

إلى أن يقرّر:

ليست "فلسطين "المجيدة قبلة في ذاتها، بل ربّها العلاّم[28]

(الأميري، 1970)

إنّ مفهوم الكّون عند شاعرنا واسع متنوّع تتداخل فيه عناصر كثيرة، لكنّها تتّجه كلّها نحو خدمة محور أساس عنده هو الانقياد لربّ الكّون وطاعته والاستئناس بالقرب منه، فيقول:

إنّها خفقة الحياة، بقلب ال كون، لاحت على مرايا البريّة
إنّها من بهاء ربٍّ جميلٍ بارئٍ مبدعٍ هاتٍ سخيةٍ[29]

(الأميري، 1985).

لقد، "حاول الشّاعر أن يتناول هذا الفنّ تناولا عصريّا، فجعل منه مجالا لخلع الهموم الذّاتية على كائنات أخرى تشاركه بعض نصيبه وفرصة للتأمّل واستجلاء أسرار الطّبيعة الكامنة وتوجيه النّظر البشري إلى قدرة الخالق وجماله، الّذي أبدع هذه الأشياء الجميلة".[30] (خالد بن سعود الحليبي، 2001)

فـ "الشّاعر مولع بالجمال كلف به، متتبّع له، يراه في الأحياء والأشياء وينشده في الطّبيعتين الصّامتة والصّائتة، لكنّه لا يقف عند حدوده المحسوسة وإنّما ينفذ إلى أغواره العميقة، ليرى من خلاله جمال الله سبحانه"[31] (عبد الرحمن رأفت الباشا، 1974)

فها هو، يكشف عن عمق صلته بالكّون والكائنات، يقول:

ما بين تسبيح ضوء البدر مؤتلقا وبين تسبيح موج البحر هدّارا
وقفت في ركعات الفجر منتشيا أسبّح الله تكرارا وتكرارا
حتّى شعرت بفيض الذّات، وانبلجت روحي، ورحت مع الأفلاك دوّارا[32]

(الأميري، 1990)

ويحكي قصّته مع طائر البلبل حينما يرتّل هو القرآن والبلبل في مقابله يغرّد مسبّحا خالق الأكوان، فيقول:

لي مع البلبل في تس بيحك اللّهم موعدُ
أنا أتلو الآيه والبل بلُ يصغي ويغرّد
..ودنى الفجر لمن يف قه سر الفجر مسجد
وخلايا ملكوت ال لّه في صمت تردّد[33]

(الأميري، 1990)

عندما تملأ مكوّنات هذا الكون قلبه وعقله يسبح بعيدا ويطير عاليا محلّقا بفكره وشعره فتتلاشى الحدود من بين ناظريه، وتنزاح العقبات من بين يديه، ذلك ما أكّده شعرا في قصيدة (دقائق إشراق) يصف فيها رحلته بالقطار من (مكناس) إلى (فاس) بالمملكة المغربية، يقول:

إلى- فاس من- مكناس وحدي تراودني رؤاي، وتتأى بي وتغمرني صمتا
وللحسن من حولي صلاة أحسّها بقلبي، ولكن لا أجيد لها نعتا
زرابيّ وشاها الرّبيع ومدّها من العين حتى الأفق ألوانها شتّى
تبسّم فيها النّور عن حبب السّنا وجادت حقول القمح في سهلها نبتا[34]

(الأميري، 1990)

ونراه في موقف آخر؛ يخاطب النّجوم مستلهما منها فكرة الاهتداء، يقول:

..يـــا أنجمـــي يـــا دررا في الـــذّرا فـــوق سمـــاوات العـــلا ناهـــدة
يـــا أنجمـــي ســـرّك يهـــدي إلى الـــشّ ارد في درب الهـــــوى رائـــــدة
وأنـــت للـــرّوح الّـــذي هـــدّه طـــواه، مـــن بارئـــه، مائـــده[35]

(الأميري، 1973)

وبقدر ما يتحدّث مع الحقول والنّجوم او السّماء و الأرض فإنّنا نجده يتحاور مع البحر متأمّلا في صوره، مستمدّا منها الأحاسيس والعواطف المناسبة للّحظة، يقول:

مـــوج كـــأنّ البـــون مـــن زحفـــه أســـد أثـــيرت، فلـــها كـــرّ
تطـــارد الـــريح خطـــا ســـعيه قليلـــه لـــيس لـــه فجـــر
يـــركض مـــن أقصـــى المـــدى لاهثـــا يكـــاد يـــرتجّ بـــه البحـــر
وقـــد يرانـــي ناجمـــا باسمـــا في عـــزلتي الحـــرّى فـــيغترّ
يـــا مـــوج ســـل بحـــرك عـــن بسـمتي وســـرّها... فينجلـــي الســـرّ
هـــو الرّضـــا، فـــاللّه قـــد حفّـــني بـــأنعم لـــيس لهـــا حصـــر[36]

(الأميري، 1990)

ويسبح به الخيال في سبحات ممتدّة، ونفحات طيّبة فيجتمع عنده الكون مع هذا الخيال السّابح فيشكّل في نفسه وشعوره تلك اللّحظة الإيمانية الرّاقية والصّافية، فيقول:

يـــا خيـــالا قـــد رأى الأض داد في أرض فـــــــــأنكر
فربيـــــــع كحيـــــاة في خلايـــا الكـــون يظهـــر
وطلـــول قـــد بـــدت كـــال هيكـــل العظمـــيّ تنخـــر
عظـــة للنّـــاس هـــذي بلســـان الحـــال تـــؤثر[37]

(الأميري، 1985)

سيطر عليه في لحظات كثيرة التأمّل، فيجنح بخياله إلى أجواء عجيبة هي إلى الأساطير أقرب، فيصنع بها لوحاته الفنيّة الرّائعة، يقول:

وتأمّل فيض الجمال على الوا دي نضيرا، يشعّ في أسحاره
قد تمطّى ومد رجليه عبر ال أفق في البحر مبردا من أواره
والرّوابي توكّأت عن يمين وشمال واسترسلت في جواره[38]

(الأميري 1973)

تعمّقت في نفسه فكرة العالمية، لكثرة تجواله وترحاله بين البلدان والأوطان، وفرضت نفسها في كل مناحي حياته وأسلوب عيشه، تصاحبه في الفكر، وفي الحلّ والتّرحال فصارت ميزة قويّة تخصّ شعره، يقول:

أنا في (الرّباط) مرابط ورؤاي تغرب في النوّاح
أنا في (الرياض) وفي (دمش ق) وليس عن(حلبي) براح
أنا في امتدادات الآذا ن كأنّ في نسبي (رباح)[39]

(الأميري ،1986)

كلّ أرض، كلّ مكان يسمع فيه أذان التّوحيد فهي موطنه وبلاده والمعروف أنّ الأذان يسمع في كل جنبات الكون الفسيح، لم يفوّت شاعرنا الفرصة ليؤكّد أنّه - ومن ثمّ الإنسان- أينما كان، جزء من هذا الكون بل طيف باستقراره، بتناقضاته، بصراعه بعلاقاته، فيقول:

كيف أشكو، كيف لا أشكو، ومن أشكو وممّ؟
وأنا في فلك الأك وان طيف قد ألمّ
أنا في قافلة لا تنتهي إلا بعيدا
قدر، أمواجه تـ ـه دأ آناء وتصخبُ

وأنـــــــا في لجّـــــــه الـــــــوا ســـــــع، ارتـــــــاح وأتعـــــــب[40]

(الأميري ، 1973)

5. خاتمة:

- ينطلق الأميري، في أغلب شعره من قاعدة إيمانية روحية، وقلب ينبض بحب الإسلام والعربية والعروبة بل الإنسانية جمعاء.

- لقد تناول الأميري بخياله الواسع، وإحساسه المرهف، الإنسان في سموه ورساليته، ومن هو الإنسان، ولماذا؟ وما دوره وما العلاقة الصّحيحة بينه وبين اللّه؟

- ثم لم الكون؟ وكيف يراه؟ كيف شأنه معه؟ وهل يشكل هذا التلاقي قصدا معرفيا؟ لأنه يرى من الواجب عليه إبلاغ النّاس بفكره، وبثّه في روعهم وتفكيرهم، في سلوكهم، وفي كل علاقاتهم.

- الشّاعر –بلا ريب- بما أتيح له من المعرفة الواسعة والاطلاع المتنوع والقدرة على التأمّل، وتوظيف الفلسفة وعلم الجمال وكنه العقيدة وحقيقة الإيمان، تكوّن عنده تخييّل واسع استثمره في تشكيل قناعاته ووسائله فجاءت واضحة كالشّمس وضحاها، ثابتة كالجبال ومرساها فكتب لها الانتشار والقبول والخلود، وعانقت بني الإنسان بلا حدود!

- قال عنه أبو الحسن الندوي: إنّه يستحق صفة شاعر الإنسانيّة المؤمنّة وأمير شعراء الإسلاميين في النصف الثاني من القرن العشرين قاطبة، بعد محمد إقبال أمير الشعراء في النصف الأول.

مراجع البحث

(1) عمر العيسو، الشاعر الداعية، رابطة أدباء الشام، http://www.odabasham.net ،14- 11- 2019

(2) نور سورية، عمر بهاء الدين الأميري.. شاعر الإنسانية المؤمنة، https://syrianoor.net

(3) جابر قميحة، عمر بهاء الدين الأميري.. شاعر الإنسانية المؤمنة، https://www.lahaonline.com، 14- 07- 2005

(4) خالد بن سعود الحليبي، عمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية المؤمنة، منشورات نادي جازان الأدبي الرياض، ط1 ، 2006، ص3.

(5) مفيد محمد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1981، ص28.

(6) الأميري، أذان القرآن، مؤسّسة: الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، الأردن، ط1، 1984 ص168.

(7) خالد سعود الحليبي، المرجع السابق، ص 475.

(8) الأميري وهمّ العالمين، مقابلة، حوار محمد سداد، مجلة منار الإسلام، ع: 7، 1989، ص 122.

(9) الأميري، لقاءان في طنجة ، نشرة للطباعة والنشر، بن ميد، الدار البيضاء 1985، ص51.

(10) الأميري، نكهة الدمع- قصيدة- جريدة الشرق الأوسط، ع: 3405، 25-03- 1988.

(11) الأميري: ملحمة الجهاد، دار البيان، الكويت، 1968 ص 35-36.

(12) الأميري، لقاءان في طنجة، ص73

(13) الأميري، قلب ورب، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت، ط1، 1990، ص47- 49

(14) الأميري، ألوان طيف، دار الفتح، بيروت، لبنان، ط3، 1973، ص 350-351.

(15)الأميري، الإسلام في المعترك الحضاري، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1968، ط1، ص: 9- 12.

(16)الأميري، المصدر نفسه، ص 13.

(17)الأميري، المصدر السّابق، ص 40-41.

(18)الأميري، المصدر نفسه، ص48.

(19)محمد عادل الهاشمي، الأدب الإسلامي تجارب ومواقف، دار القلم، دمشق ودار المنارة، بيروت، لبنان، ط1987،1، ص256.

(20)عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، دار الاسلام ومطبعة دار العلوم، القاهرة، مصر، 1973، ص 9 - 10.

(21)الأميري، ألوان من وحي المهرجان، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، المغرب، ط1، ص 14- 15.

(22)الأميري، نجاوى محمدية، ص170

(23) البشير الإبراهيمي، أثار الشيخ الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 509.

(24) الأميري، سبحات ونفحات، ص48

(25) الأميري، ألوان طيف، ص393، 394.

(26)الأميري، مع الله، ص 10

(27) جابر قميحة: أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2001، ص:112- 113

(28)الأميري، الأقصى ..وفتح... والقمة (قصيدة) دار القلم، بيروت، ط1، 1970، ص 1 إلى 25.

(29)الأميري، آذان القرآن ص، 23، 24

(30)خالد بن سعود الحليبي، المرجع السابق، ص 459.

(31)عبد الرحمن رأفت الباشا، حديث إذاعي: حول شعر الأميري، إذاعة الرياض، بعنوان: شعر، شاعر، عام 1974.

(32)الأميري، إشراق، ص156، 166.

(33)الأميري: المصدر نفسه، ص120، 121.

(34) الأميري: المصدر نفسه، ص: 102، 103.

(35)الأميري، ألوان طيف، ص 265.

(36)الأميري، قلب ورب، ص 81.

(37)الأميري: أذان القرآن، ص 18.

(38)الأميري: ألوان طيف، ص 62.

(39)الأميري: لقاءان في طنجة، ص79.

(40) الأميري، ألوان طيف، ص152